علاقات الملك بيبن الثالث مع البيزنطيين

م.م. هناء خضير احمد
أ.د. زهير قاسم محمد
جامعة سامراء–كلية التربية

الملخص:

تعد العلاقة بين بيبن الثالث مع الدولة البيزنطية من أهم وأبرز العلاقات التاريخية في العصور الوسطى إذ تعد تلك العلاقة بمثابة جسر مهم بين شرق وغرب العالم، اذ شملت التبادل الثقافي والتجاري والعسكري بين الطرفين. فبينما كان شارل مارتل مهتما في المقام الأول بتعزيز السلطة في مملكة الفرنجة والدفاع ضد التوسع الإسلامي في أوروبا الغربية.الا ان علاقة بيبن الثالث مع الإمبراطورية البيزنطية تم تشكيلها أساسا بواسطة تفاعلاته مع البابا والديناميات السياسية المستمرة في روما. فقد شكل بيبين تحالفا مع البابا ستيفن الثاني في القرن الثامن اذ سعى البابا إلى مساعدة بيبن ضد اللومبارد الذين كانوا يهددون الأراضي البابوية في روما. ووافق بيبن على مساعدة البابا عسكريا، مما ساعد بشكل غير مباشرة الإمبراطورية البيزنطية، اذ كان اللومبارد يشكلون تهديدا لممتلكات الإمبراطورية البيزنطية في روما. و نتيجة للحملة العسكرية الناجحة لبيبن ضد اللومبارد، منح أراضي في وسط روما للبابوية. ذلك العمل، المعروف باسم هبة بيبن، لم يعزز فقط سلطة البابوية ولكن أيضا أنشأ الدول البابوية، التي عملت كحاجز بين اللومبارد والإمبراطورية البيزنطية.

الكلمات المفتاحية: بيبن الثالث، اللومبارديين، شارل مارتل، الإمبراطورية البيزنطية.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 11, Issue 37, Aug 2024
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The relations of King Pepin III with the Byzantines

Hanaa Khudair Ahmed

prof. dr. zuhair qasim muhammad

Samarra University-Faculty of Education

Abstract:

Pippen III relationship with the Byzantine State is one of the most important and prominent historical relations in the region. This relationship is regarded as an important bridge between the East and West of the world, encompassing cultural, commercial and military exchanges between the two parties. While Charles Martel was primarily interested in strengthening power in Merovenge and defending against the Islamic expansion of Western Europe. However, pippen III relationship with the Byzantine Empire was formed mainly by his interactions with the Pope and the ongoing political dynamics in Italy. Pippen formed an alliance with Pope Stefan II in the eighth century, where the Pope sought to help pippen against the Lombard who were threatening Rome's papal lands. Pippen agreed to help the pope militarily, indirectly assisting the Byzantine Empire, where the Lombards posed a threat to the Byzantine Empire's property in Rome. As a result of Beiben's successful military campaign against the Lombard, lands in central Rome were awarded to the papacy. This work, known as the Pippen Endowment, not only strengthened papacy power but also created papal states, which served as a barrier between the Lombard and the Byzantine Empire.

Keywords: Pippen III , Lombardy, Charles Martel, Byzantine Empire.

المقدمة:

تعد السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة في عهد الملك بيبن الثالث أمرا شائكا إذ ظهر بها عدة تحديات، تمثلت في أن حقبة الملك بيبن الثالث تنقسم إلى حقبتين: الحقبة الأولى التي تولى فيها بيبن الثالث رئاسة بلاط الميروفنجي خلفا لأبيه شارل مارتل (741–750م) والحقبة الثانية التي أصبح فيها بيبن الثالث ملكا على الفرنجة (751 –768م) مؤسسا أسرة خاصة به لحكم مملكة الفرنجة وهي الأسرة الكارولنجية، وظهر التحدي الثاني في ضعف وتلاشي السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة قبل بيبن الثالث؛ نتيجة لضعف الملوك الميروفنجيين الذين كان رؤساء البلاط يتحكمون بهم وبالتالي كان تجدد العلاقات الخارجية لمملكة الفرنجة يمر بخطوات بطيئة ومحسوبة سواء من جانب مملكة الفرنجة أو جيرانها، تناول المبحث الأول علاقات الفرنجة مع الدولة البيزنطية ، والمبحث الثاني علاقات الملك بيبن الثالث مع البيزنطيين.

المبحث الاول: علاقات الفرنجة مع الدولة البيزنطية

كانت العلاقات البيزنطية الفرنجية ذات طبيعة خاصة، بدأت مع دخول الفرنجة إلى بلاد الغال عام 476م[1](صلاح مدني،1972م، ص 182-183)، إذ اعتنق الملك الفرنجي كلوفيس الديانة الكاثولكية مخالفا بذلك القبائل الجرمانية الأخرى مثل: اللمبارديين والقوط الغربيين والبرجنديين التي كانت تدين بالمسيحية على المذهب الأريوسي، مما جعل الإمبراطورية البيزنطية تعد توسعات الملك كلوفيس في بلاد غالة تتم في الأصل نيابة عن الدولة البيزنطية، ومن ثم تنازلت بصورة شرعية لكلوفيس عن غالة بعدما اعتنق الديانة الكاثوليكية، وأصبح كلوفيس منذ

(1) نزل الفرنجة شمال غالة في القرن الرابع للميلاد، مكونين مجموعتين كبيرتين الفرنجة البحريين أو الساليين Saliane والفرنجة البريين أو الريبواريين Ripuaires، وظل الفرعان مصدر خطر على الامبراطورية الرومانية في غالة، وكانت حملاتهم تأتي على غالة عبر الراين بقصد السلب والنهب. وعلى الرغم من ذلك تحول الفرنجة إلى معاهدين للإمبراطوريةالرومانية في موقعة شالون عام 451م، إذ حارب الفرنجة والرومان معا ضد الهون. وفي أواخر القرن الخامس سعى الفرنجة البحريون لنزول غالة واستيطانها ولاسيما بعد سقوط الامبراطورية الرومانية عام 476م، وقد نجح الملك كلوفيس زعيم الفرنجة البحريين ومؤسس دولتهم في هزيمة سياجريوس Syagrius ممثل الإدارة الرومانية في غالة عام 476م، ومهد السبيل للفرنجة لدخول الجهات الشمالية من غالة. (صلاح مدني،1972م، ص 182–183).

ذلك الوقت بالنسبة إلى الرومان ليس مجرد غازي بربري وإنما هو أحد أكبر القادة في الإمبراطورية الرومانية[2](عاشور،2009م ، ص 102) .

والواقع أن الفرنجة لم يقبلوا بمثل ذلك الولاء للبيزنطيين إلا عندما كانوا بحاجة إلى دعم وتأييد الحاميات الرومانية في غاليا في حربهم ضد قبائل الجيبداي والألماني وغيرهم. ولما أخضع الفرنجة تلك الدول واشتد ساعد دولتهم، وزادت قوتهم، لم يتأخر الفرنجة في إظهار ذلك الولاء للبيزنطيين. وبالتالي فإن العلاقة بين البيزنطيين والفرنجة كانت ودية مادام من مصلحة الطرفين الإبقاء على ذلك الود سائدا، وفي الوقت ذاته لم يكن لدى الفرنجة أدنى استعداد ليكونوا رعايا لبيزنطة في غاليا، وإنما عد الفرنجة أنفسهم حلفاء لبيزنطة في بلاد غاليا؛ لذا فإن الفرنجة كانوا حريصين على عدم مناصبة البيزنطيين العداء، والقيام ببعض المهام التي يكلفون بها من قبل البيزنطيين، مثل: استجابة الملك الفرنجي شيلدبير الثاني (575– 596م) لدعوة الإمبراطور البيزنطي موريس عام 590م ؛ لأجل مساعدة بيزنطة في الحرب ضد اللومبارديين، إلا أن مساعدة الفرنجة للدولة البيزنطية ارتكزت على عاملين أساسين **أولهما:** ألا تتنافى تلك المساعدات مع سيادة الفرنجة في غاليا، **وثانيهما:** أن توافق تلك المساعدات سياسة الفرنجة الخارجية الرامية إلى عدم توطيد دعائم حكم دولة قوية في البلاد المتاخمة لدولة الفرنجة، وإن لم يتوافر أي من هذين الشرطين فإن الفرنجة لا ينصتون إلى الطلب البيزنطي من دون مقابل مادي مثل: حروب الفرنجة ضد اللمبارديين التي دعا فيها الإمبراطور موريس الفرنجة إلى مساعدته للحرب ضد اللمبارديين، ولم يقبل الفرنجة بتقديم المساعدة لبيزنطة في حربها ضد اللمبارديين إلا بعد تقديم بيزنطة الأموال للفرنجة (صلاح مدني،1972م، ص 201-204).

ومن ثم أصبحت السمة السائدة بين بيزنطة والفرنجة هي حماية العلاقات بينهما، وقد ظهر ذلك جليا في المدة 614–638م، حينما تعددت السفارات المتبادلة بين الملك كلوتير الثاني وابنه داجوبير الأول من ناحية، والإمبراطور هرقل من ناحية أخرى(حسنين ،1993م، ص 121).

ولكن ومع ضعف السلطة الميروفنجية بعد عام 638م توقفت العلاقات الدبلوماسية بين البيزنطيين والفرنجة، ولم تذكر المصادر المعاصرة أي معلومات بشأن محادثات تمت بين الفرنجة

(2) بعدما اعتنق كلوفيس المسيحية على المذهب الكاثوليكى، اعترف به امبراطور بيزنطة نائبا عنه Pro Consul، وأنعم عليه بلقب البطرقية، وكل ذلك؛ لكي يتخذ وضعه صفة الشرعية. (عاشور،2009م ، ص 102)

والبيزنطيين؛ لانشغال كلا الطرفين بشؤونهما الداخلية، وإدراك بيزنطة أن الفرنجة غير قادرين على تقديم أي مساعدة عسكرية؛ بسبب الضعف الذي سيطر على الحكام الميروفنجيين وانحدار سلطتهم لصالح سلطة رؤساء البلاط، وكذلك الشقاق الذي حدث بين روما والقسطنطينية، وعدم جدوى استنجاد البابوية في روما بالأباطرة البيزنطيين في القسطنطينية، إذ لم يعط الأباطرة البيزنطيين لتلك الاستنجادات أي أهمية (حسنين، 1993م، ص121).

ومن الجدير بالذكر أن البابوية في روما ورثت أملاك الإدارة البيزنطية في وسط ايطاليا، واستغلت البابوية الظروف والأحداث التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب بعد الغزوات الجرمانية، وأقامت ملكا دنيويا لها في ايطاليا يشمل بصفة عامة المنطقة الواقعة بين البحرين المتوسط والأدرياتي (Monte, 1949, P.391-394)، وعند تولي البابا جريجوري العظيم(590 – 604 م) ازدادت قوة ومكانة البابوية في روما، إلا أن ازدياد نفوذ البابوية في روما قابله نفوذ متزايد للمبارديين في ايطاليا إذ تقع عاصمة اللمبارديين بافيا "Pavia" على مقربة من روما عاصمة البابوية، وبالتالي رغب اللمبارديون في فرض أنفسهم على ايطاليا، وبالتالي خافت البابوية من أن تصبح مجرد أسقفية لمباردية بدلا من جعلها عاصمة للغرب الاوروبي بأكمله، والمهيمنة على المنطقة دينيا ودنيويا(Hubert, 1952, P.251) .

ومن ذلك المنطلق حرصت البابوية على معالجة شؤونها السياسية، ورأت أنه من الحكمة عدم قطع صلتها تماما بالدولة البيزنطية رغم إدراكها أنه ليس بوسعها الاعتماد عليها ورغم الاختلاف الديني والمذهبي بين البابوية والدولة البيزنطية فقد حرصت البابوية على الارتباط ببيزنطة؛ لعدم وجود قوى أخرى في ذلك الوقت يمكنها الاعتماد عليها في مواجهة الاطماع اللمباردية؛ لذا اضطر البابا ستيفن الثاني إلى طلب العون في بداية الأمر من الإمبراطور قسطنطين الخامس (741–775م)(Deanesly, 1956, P.252) .

ومع تجدد المطامع اللمباردية في أراضي البابوية في روما أدركت البابوية عدم جدوى الاستنجاد بالأباطرة البيزنطيين الذين لم يبذلوا أي جهد للدفاع عن أملاك بيزنطة في روما، فرأت البابوية ضرورة الاستعانة بالفرنجة الذين نالوا شهرة عظيمة في الغرب الأوربي في ذلك الوقت بعد انتصارهم على المسلمين في موقعة تور بواتيه عام ٧٣٢م، إلا أن رئيس البلاط شارل مارتل المسؤول الأول عن السياسة الفرنجية في ذلك الوقت لم يعط اهتماما لرسائل البابا جريجوري الثالث والذي يستعطفه فيها للوقوف بجانب البابوية في روما ضد هجوم اللمبارد بحجة أنه الحامي الوحيد للمسيحية في الغرب الأوربي ولاسيما بعد انتصارهم على المسلمين، لكن شارل

مارتل لم يحرك ساكنا تجاه استنجادات البابوية ضد اللمبارد؛ نظرا للتحالف الموجود بين شارل مارتل واللمبارد ضد هجمات المسلمين في جنوب إيطاليا (عاشور،2009م، ص 135).

المبحث الثاني علاقات الملك بيبن الثالث مع البيزنطيين

إلا أن الأمور سرعان ما تغيرت بعد وفاة شارل مارتل وتولي ابنه بيبن الثالث زمام الأمور في مملكة الفرنجة، إذ تلاقت مصالح بيبن الثالث مع مصلحة البابوية في روما حينما رأى بيبن الثالث ضرورة إنهاء حكم الميروفنجيين وقيام أسرة جديدة لسلالته وهي الأسرة الكارولنجية، ولما كان رئيس البلاط بيبن الثالث غير قادر على إتمام تلك الخطوة إلا بوجود سند قوي يحميه ويؤيده ولاسيما وأن تلك الخطوة تتنافى مع عادات وتقاليد الفرنجة الذين كانوا ينظرون الى الملك الفرنجي نظرة مقدسة وبالتالي لا يمكن مخالفته أو التقليل من شأنه، فضلا عن أن تأييد البابوية لبيبن الثالث في تلك الخطوة سيغنيه عن أي معارضة داخلية من العائلات الفرنجية الأخرى التي كانت في نزاع دائم على الحكم مع بيبن الثالث ومن قبله والده شارل مارتل، أما البابوية في روما فرأت من ناحيتها أن الموافقة على اعطاء بيبن الثالث الشرعية بوصفه ملكا فرنجيا سيجعل منه ابنا مطيعا للبابوية في روما، ومنجيا لها من الهجمات اللمباردية على روما، وبديلا قويا للامبراطورية البيزنطية في ايطاليا يمكنها من الحفاظ على أملاكها في ايطاليا، ولاسيما مع انشغال بيزنطة بمشاكلها الداخلية وبالصراعات الدينية بين الأيقونيين واللا أيقونيين(إسكندر، 2007م، ص220) .

ووفقا للمعطيات السابقة أرسل بيبن الثالث سفارة الى البابوية في روما؛ لاستطلاع رأيها في بعض الإصلاحات الدينية التي ينوي القيام بها؛ وليتأكد من وقوف البابوية إلى جانبه، فقام في عام ٧٤٧م بإرسال رسالة إلى البابا زكريا؛ لاستشارته في عدة مسائل ينوي القيام بها مثل: التنظيم الكنسي والزواج غير الشرعي، وكذلك استطلاع رأي البابا إذا كان له رأي يود إضافته فيما ينوي القيام به من ضم الأساقفة والكهنة في نظام رهباني موحد (إسكندر، 2007م، ص220) .

وقد نالت تلك القرارات موافقة البابا مع تأكيده على ضرورة أن يتجنب رجال الدين من الأساقفة والكهنة الاختلاط مع العامة إلا في الظروف التي تقضي ذلك، ففي خطاب من البابا زكريا لنبلاء الفرنجة عام 748م ذكر البابا النبلاء باستقلالية الكنيسة قائلا: "**إنني اذكركم بالتعاليم**

الرسولية التي تذكر أن الاشخاص العلمانيين لا يجب أن يجعلوا رجال الدين في خدمتهم، ولكن الموظف يجب أن يخدمهم بقلبه وعقلة وأن يستوعب الاشياء التي علمها الأسقف له"، وبعث لهم أيضا قائلا "إذا ما تم تأسيس مجتمع رهباني، بعد وفاة رئيس الدير يتم اختيار من يخلفه من مجتمع الدير، ومع ذلك ينصبه الأسقف وليس مؤسس الدير؛ لأن ما منحه الرب يجب أن يبقى ثابتا ولا يتم انتهاكه"(Emerton, 2000, P.131) . وبعد وصول رد البابا قام بيبن بالإصلاحات التي كان ينوي القيام بها(Wallace, P.168-181).

وبعد أن اعتلى الملك بيبن الثالث عرش المملكة الكارولنجية بدأ في إعادة تنظيم الكنيسة الفرنجية، والقيام بحركة إصلاح كبيرة، إذ قام في عام 751م بتقسيم أبروشيات[3](محمد، 1994م، ص 197 – 180) الكنيسة الفرنجية إلى مناطق صغيرة، وأصبح الأسقف هو المسؤول عن كل أبروشيه، والقس مساعدا للأسقف الذى يتولى إدارة كنيسة إحدى المدن وكان يساعده أيضا في أعمال كاتدرائيته؛ وكان لكل قس كنيسة منفردة(كانتور، 1969م، ص 58)، أما الكنائس الخشبية التي بنيت في العصر الميروفنجي فتم استبدالها بكنائس من الحجارة، وتحوليها فما بعد إلى أبروشيات، وتم أيضا تنظيم انعقاد المجامع الدينية لتنعقد بين مدة وأخرى؛ لمناقشة أحوال الكنيسة الفرنجية(موس: 1967م، ص 329).

ومن جانب آخر كانت أحوال الأملاك البيزنطية في إيطاليا تتدهور شيئا فشيئا، إذ بدأ الملك اللمباردي ايستولفAistulf يخطط للسيطرة على إيطاليا من أقصاها إلى أقصاها فاستغل فرصة انشغال الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس بالمشاكل الداخلية والحركة اللاأيقونية والأخطار الخارجية المتمثلة في حروبه ضد البلغار والمسلمين واستولى على كوماشيو "Commacchio" وفيرارا "Ferara"، وفي حزيران سنة 751 م سقطت رافنا بفعل الهجوم اللمباردي، واتخذها اللمبارديون عاصمة لهم، وبذلك فقدت الدولة البيزنطية نهائيا أملاكها في وسط وشمال ايطاليا(Ostrogrsky, 1977, P. 82).

وبالتالي ونتيجة لما سبق أصبح البابا في روما في موقف لا يحسد عليه إذ أنه لا يستطيع مواجهة ايستولف بمفرده، وبالتالي باتت أملاك البابوية هدفا للمبارديين. وفي ذلك الوقت لم يكن أمام البابا إلا أن يهدد الملك اللمباردي بتوقيع عقوبة الحرمان، إلا أن الملك اللمباردي ايستولف لم يعبأ بتهديده، ومن ناحية أخرى أرسل البابا إلى الامبراطور البيزنطي قسطنطين

([3]) تعد الابروشية المحرك الأول لوحدة التنظيم الكنيسي، فمنها انطلق دستور الكنيسة؛ لذا عدت المنال الأبرز في عالم الكهنوت، وكان قس الابروشية يمارس صلاحياته فيها على أنه موظف حكومي يمارس كل النشاطات المتعلقة بالعامة والخاصة. (محمد، 1994م، ص 197 – 180).

الخامس يطلب منه إرسال جيش بيزنطي لاستعاده روما والأراضي الإيطالية الاخرى من اللمبارديين، إلا أن الامبراطور قسطنطين الخامس لم يستجب له (Brehier, 1949, PP. 102-103).

وفي 15 اذار سنة 752 م توفي البابا زكريا وخلفه ستيفين الثاني من 752– 757 م، الذي كان عليه مواجهة أطماع اللمبارديين ولاسيما عندما أقدم ملك اللمبارديين في أوائل حزيران عام 752 على تهديد عاصمة البابوية في روما، وانتهى ذلك التهديد بعرض اتفاقية سلام مع استيفن الثاني لمدة 40 عام، وبعد مضي شهر على تلك الاتفاقية حاول ايستولف ملك اللمبارديين فرض جزية على سكان دوقية روما جميعا ، مما يؤكد رغبته في نقض الاتفاقية والهجوم على أملاك البابوية مرة أخرى(Bury, 1911, P.20-36).

ومن ناحية أخرى كان سقوط دوقية روما البيزنطية ورافنا في قبضة اللمبارديين عام 751م(Painter, , 1960, P. 76) له صداه البالغ في بيزنطه حتى أن قسطنطين الخامس كان يكتب خطابا تلو الأخر إلى البابا ستيفن الثاني؛ ليتبين كيف هي الأحداث في روما، وأوفد إلى الملك اللمباردي سفارة برئاسة حنا أحد كبار القصر الإمبراطوري بصحبة شقيق البابا بولس(Ostrogrsky,1977, P.83) ؛ ليتفاوضا مع الملك اللمباردي بشأن استرداد رافنا، إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل، ورافق المندوبون البابويون المندوبين البيزنطيين إلى القسطنطينية؛ لتحديد استراتيجية جديدة للتعامل مع الخطر اللمباردي(Christopher,1991, P.30). وسعى هؤلاء المندوبون البابويون للحصول على مساعدة عسكرية من الإمبراطور أثناء إقامتهم في القسطنطينية، لكنهم لم يتلقوا أي مساعدة؛ لأن الإمبراطور كان مشغولا في قتال المسلمين(Painter, 1960, P. 76).

وفي مواجهة تلك الأخطار حاول البابا ستيفن الثاني التفاوض مع اللمبارديين مرة أخرى عارضا عليهم الانسحاب من الاراضي التي احتلوها، إلا أن مساعيه فشلت ولم يجد أمامه سوى الاستعانة ببيبن الثالث ملك الفرنجة بصفته أقوى زعيم في الغرب الأوروبي في ذلك الوقت، وأرسل إليه رسالة حملها إليه أحد الحجاج أخبره فيها عن رغبته في التشاور معه وأبدى فيها قلقه البالغ، وأوصاه أن يوفد إليه رجالا ثقة لاصطحابه من روما إلى مملكة الفرنجة؛ لأن الطريق مليء باللمبارديين، وجاء فيها: "**ونحن نسأل بشدة عن صلاحك المتميز هذا: أن تأمر، بإلهام من الله وبطروسه المبارك، رئيس الرسل، بأن ترتب فيما يتعلق بفصيل اللمبارديين لإبقاء الإيمان**

الكاثوليكي والرسولي المقدس وكنيسة الله المقدسة. سليمة وحازمة منك إلى الأبد" (Christopher,1991, P75).

وفي عام 753 م وصل من مملكة الفرنجة السفيران المرتقبان وكانا من كبار الشخصيات وثقة على وفق طلب البابا الذي كان يخشى من اللمبارديين وضمت تلك السفارة شرود جورج "Chrodegarg" اسقف مينز والثاني الدوق اوجيه "Augier" وهذان المبعوثان هما اللذان طمأنا البابا وأخبراه أن الملك الفرنجي يكن له النوايا الحسنة واصطحب السفيران البابا إلى مملكة الفرنجة إذ كان بيبن الثالث في انتظاره(Christopher ,1991 ,P.30).

وقبل عبور ستيفن الثاني جبال الألب، ورد أنه التقى بمبعوثين بيزنطيين؛ بسبب طبيعة الدبلوماسية البيزنطية في ذلك العصر، ومن المحتمل أن هؤلاء المبعوثين وافقوا على محاولة ستيفن الثاني إقحام الفرنجة في الشؤون الإيطالية؛ بسبب تشجيع السياسة الخارجية البيزنطية على إقامة تحالفات مع القبائل والشعوب المجاورة لأعداء بيزنطة، إذ أكد قسطنطين بورفيروجنيتوس على أهمية الحفاظ على البيشينك "Pechenenenegs" كحلفاء[4] (Paron, 2000, V.74, P.232). إذ يمكن للإمبراطور أن يطلب من البيشينك مهاجمة البلغار، وبالتالي إنشاء جبهة ثانية ضدهم، وكان البيشينك قادرين أيضا على مساعدة البيزنطيين ضد الروس والأتراك (Paul, 2000 ,P.147)؛ لذا وجد البيزنطيون في الكثير من الأحيان أنه من المفيد دعوة الشعوب البعيدة للحصول على مساعدتهم ضد أعداء بيزنطة المقربين.

وفي الاحتمالات جميعا، كان البيزنطيون قد وافقوا على استخدام الفرنجة بالطريقة التي استخدموا بها البيشينك. ربما كان الإمبراطور البيزنطي يعتقد أن الغارات اللومبارديه ضد الأراضي البيزنطية يمكن أن تتوقف إذا تم تشكيل تحالف فرنجي قوي. وفي الواقع حاول قسطنطين الخامس التأثير على الفرنجة؛ للوقوف إلى جانبه بالهدايا التي كان يهديها والرسائل التي كان يرسلها وبالطريقة ذاتها التي أوصى بها قسطنطين بورفيروجنيتوس لاكتساب البيشينك كحلفاء(Christopher,1991,p30) .

وفي الحقبة ذاتها، عرض قسطنطين الخامس أيضا تحالفا زوجيا مع عائلة الكارولينجيين فمن المفترض أن يتزوج نجل قسطنطين الخامس ليو، ابنة بيبن الثالث جيزيلا "Gisela"

([4]) **البيشنيك:** هم قبائل كانوا يقطنون المنطقة الشمالية من البحر الأسود وعلى طول نهر الفولغا وكانوا متحالفين مع الإمبراطورية البيزنطية ضد البلغار والقبائل الأخرى المعادية للإمبراطورية البيزنطية. للمزيد من التفاصيل ينظر: (Paron, 2000, V.74, P.232).

(Martin, 2012, P.1077). ومن الجدير بالذكر أن عرض التحالف الزوجي مع الشعوب الأجنبية نادرا بالنسبة إلى البيزنطيين للتوسع. وتم منح مثل ذلك التحالف فقط مع قبائل الخزر[5]؛ لأن البيزنطيين احتاجوا إلى دعمهم العسكري، وعلى الرغم من أن حفل الزفاف لم يتم أبدا، إلا أن بيبن الثالث لا يزال يكتسب قدرا كبيرا من المكانة بوصفه حاكما شرعيا؛ لأن مثل ذلك العرض كان سيمتد فقط إلى عائلة الملوك الحقيقيين(Christopher,1991,p37) . وكان بيبن الثالث مغتصبا للسلطة من سلالة شرعية وربما قدر تلك العروض البيزنطية التي عززت هويته الملكية وشرعيته، وكانت تلك الجهود من بين أولى المحاولات البيزنطية لإقناع الفرنجة بالمساعدة في حماية الممتلكات البيزنطية في إيطاليا أو الموافقة على عدم التدخل نيابة عن البابا، وعرض الزواج وقع قبل عام من كتابة البابا ستيفن الثاني لبيبن رسالة يطلب فيها مساعدته؛ لضمان التمسك بالكاثوليكية في الأراضي اليونانية داخل إيطاليا(الحويرى،1995م، ص 25).

وعلى الرغم من أن أعمال قسطنطين بورفيروجنيتوس كتبت بعد قرن تقريبا من تلك الأحداث في إيطاليا، إلا أنها استندت إلى خبرة الاستراتيجية الدبلوماسية البيزنطية، وتم إجراء مثل تلك التحالفات في أوائل الإمبراطورية الرومانية، ويبدو أن تلك السياسة استمرت في العصر الكارولينجي (Stephenson,2000,p12) .

وخلاصة القول: عندما انطلق البابا في طريقه من روما إلى مملكة الفرنجة في 14 تشرين الأول عام 753 م بصحبة مبعوثي الملك بيبن الثالث وبعض رجال الامبراطور البيزنطي اذ اتجه الجميع نحو شمال ايطاليا ومملكة الفرنجة، وبعد مدة طويلة وصل البابا ومرافقوه إلى

(5) ترجع بدايات نشأة مملكة الخزر إلى النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد، حينما بدأت قبائل الخزر، وهي القبائل التركية التي انتشرت غربا باتجاه المناطق المتاخمة لشرق أوروبا في المساحات المعروفة، الواقعة اليوم ضمن مناطق جنوب غرب روسيا، بدأت بالتوسع جنوبا، والاستيلاء على أراضي الفرس الساسانيين، ومن جاورهم وحدهم من القبائل الأخرى، وانتهى ذلك إلى تحالف الخزر مع البيزنطيين في حروبهم مع الفرس. وفي القرن الخامس خضعوا لسلطان امبراطورية الهون الناشئة بقيادة "أتيلا الهوني"، قبل أن يستقلوا من جديد إثر وفاته وانهيار امبراطوريته، ليعودوا لخوض الحروب من جديد مع الفرس في القرن السادس، ويتمكنوا هذه المرة من تحقيق توسعات مهمة على حسابهم في مناطق جنوب القوقاز وشمال أذربيجان وأرمينيا، وفي القرن السابع للميلاد، اتجه الخزر للتوسع غربا على حساب البلغار، وعلى امتداد السواحل الشمالية لبحر آزوف والبحر الأسود. وتزامن ذلك مع صعود العرب= =المسلمين في القرن السابع، واتجاههم للتوسع بكل الاتجاهات، وسيطرتهم على مساحات شاسعة من أراضي إمبراطورية فارس، ومن ثم الاتجاه إلى مناطق إرمينيا، ومن بعدها القوقاز، وهنا بدأ الصدام بين المسلمين والخزر. للمزيد من التفاصيل: (فروخ،ص 25-27).

مملكة الفرنجة في 6 كانون الثاني عام 754 م إذ تم استقبال البابا في القصر الملكي في بونثيون "Ponthion" من الملك الفرنجي بيبن الثاني، والذي سبق له أن كلف ابنه شارلمان وكان عمره تقريبا عشر سنوات بترأس بعثة الشرف التي ضمت أيضا بعض كبار رجال المملكة والتي ستصاحب البابا إلى القصر الملكي في بونثيون(Pontificialis, P.445) . أما بيبن الثالث وزوجه بارترايد "Beretrade" وابنه الثاني كارلومان وكبار رجال البلاط الفرنجي فقد انتظروا البابا على بعد ثلاثة أميال من المدينة، وحينما علم بيبن الثالث باقتراب البابا استيفن الثاني أسرع للقائه بصحبة زوجه وابنهما الثاني كارلومان، وحين مثل البابا أمامهم ركع بيبن ليعبر عن احترامه وتبجيله للجالس على الكرسي البابوي ثم ترجل الملك الفرنجي من على صهوة جواده وكان الجو شديد البرودة والثلج يغطي الارض وأخيرا دخل الموكب في احتفال مهيب القصر الملكي الفرنجي في بونثيون(Halphen,1949,p32).

وبدأت المفاوضات بين البابا وبيبن الثالث في اليوم التالي مباشرة وحضر الاجتماع كبار رجال مملكة الفرنجة ومرافقو البابا ومندوبو الامبراطور البيزنطي، وفي ذلك الاجتماع عقدت أول اتفاقية بين البابوية وبيبن الثالث بمقتضاها تعهد بيبن بمساعدة البابوية ضد اللمبارديين، واتفق الاثنان على أن أملاك الدولة البيزنطية التي تم اغتصابها من اللمبارديين ستعود إلى البابوية وليس إلى بيزنطة(Hubert,1952,251).

وقد غضب الامبراطور البيزنطي؛ بسبب للتحالف بين البابوية والفرنجة إذ إن تتويج بيبن الثالث على يد البابا ستيفن، جعله الحامي الرسمي للكنيسة الرومانية؛ لأنه من الناحية النظرية كانت مدينة روما لا تزال تحت سلطة بيزنطة (أسامة ، 2006م، ص 318) .وكان بيبن صريحا في طلب بعض المدن الايطالية مقابل المساعدات التي سيتم تقديمها إلى البابوية، فضلا عن أن البيزنطيين ما زالوا يعدون أنفسهم رومانا ولن يقبلوا ببيبن كواحد من النبلاء الرومان(Christopher ,1991,P.32).

وبناء على ما سبق ظهر أن بيبن الثالث والبابا استيفن الثاني قد وفيا بوعودهما لبعضهما البعض، وعززا قوتهما ومكانتهما بتعاونهما الأول، فبيبن قد أمن سلسلة شرعية من الملوك، وحصل ستيفن الثاني على استقلاله عن البيزنطيين وممتلكاته الشاسعة في وسط إيطاليا. ومع ذلك، توضح الأحداث اللاحقة أن ذلك المثال من التعاون متبادل المنفعة بين بيبن والبابا ستيفن لم يخلق نمطا ثابتا للعلاقات البابوية جميعا والكارولنجية اللاحقة. وغالبا ما كان الباباوات والحكام الكارولنجيون على خلاف مع بعضهم البعض، ولاسيما فيما يتعلق بالبيزنطيين والقضايا ذات الصلة بشرعية واستقلال الحكام الكارولينجيين(Stephenson,2000, P.25).

وعلى الرغم من كل محاولات بيزنطة لرأب التعاون بين البابوية وبيبن الثالث إلا أن البابوية نجحت في الاستعانة ببيبن الثالث ليكون المدافع عن الإيمان الكاثوليكي والرسولي المقدس، ووسع البابا استيفن الثاني دور بيبن الثالث داخل الكنيسة، واراد البابا استيفن أن يكون بيبن الثالث مدافعا عسكريا عن الممتلكات البابوية ومدينة روما ضد هجمات اللومبارد، وكان يطلب من بيبن أن يؤدي دورا لاهوتيا ضامنا للكاثوليكية ضد "بدعة" تحطيم الأيقونات. وأن البابا يمكن أن يلجأ إلى الملوك الكارولينجيين للمساعدة في ضمان الكاثوليكية. لقد أصبحت مسألة عقيدة تحطيم الأيقونات قضية دينية ودبلوماسية كبرى حاول البابا‌وات والأباطرة استغلالها؛ للحصول على تحالف حصري مع قادة الفرنجة(Christophe,1991, P75).

ومن الجدير بالذكر أن ذلك التحالف في صالح البابوية التي أكسبتها حليفا قويا يدافع عن شؤونها ضد اللمبارديين، مما جعل اللمبارديون يعقدون اتفاقية عام 763م بين ملك اللمبارديين ديزيدريوس والبابا بولس الأول تقضي بالاحترام المتبادل بين الطرفين، وإعادة الأمور إلى نصابها من دون إحداث تعديلات جديدة، مع احتفاظ كل طرف بقوانينه من دون تدخل الطرف الأخر (Pontificalis, P.445)

وبعد استتاب الأمور للبابوية وبعد آخر حملة قام بها بيبن الثالث على أكتانيا بداية عام 768م، شعر وهو في مدينة سانت بمرض أصابه واقتراب أجله، فقام بتوزيع مملكته، إذ قسمها بين ولديه كارولمان الذي كان نصيبه المناطق الشرقية وهي: بروفانس وسبتمانيا وبرجنديا والألزاس والألماني، أما شارلمان فكان نصيبه أوسترازيا ونوسترازيا فيما قسمت أكتانيا فيما بين الطرفين. وفي 24 أيلول عام 768م توفي بيبن الثالث وهو في الرابعة والخمسين من عمره(Fuldennes, P.8).

الخاتمة:

كانت علاقات الملك بيبن الثالث مع الامبراطوريه البيزنطيه علاقات مصالح متبادله .اذ ان الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس حاول كسب ولاء الملك بيبن الثالث للوقوف الى جانبه ؛ ليكون حليف قوي في سد هجمات اللامبارديين ومحاولتهم للاستيلاء على الاراضي التابعه للبيزنطيين .تحولت العلاقات بين الملك بيبن الثالث والامبراطوريه البيزنطيه من علاقات وديه ومصالح مشتركه ضد الخطر اللامباردي الى تحالف ثلاثي ضم كل من البابويه والمملكه الكارولنجيه والامبراطوريه البيزنطيه ضد عدو مشترك واحد هو اللومبارديين. الا ان هذا التحالف سرعانه ما تحول الى عداء بسبب الاتفاق الذي تم بين الباباويه والملك بيبن الثالث اذ ان الاملاك البيزنطيه التي تم اغتصابها من قبل اللمبارديين ستعود الى البابويه

فضلا عن ان البيزنطيين ما زالوا يعدون انفسهم رومانا ولم يتقبلوا ان يكون بيبن الثالث واحدا من النبلاء الرومان الا ان الملك بيبن الثالث كسب البابويه من اجل تحقيق مطامحه بان يكون ملكا للفرنجه

قائمة المصادر والمراجع:

Reference:

1. إسكندر، فايز نجيب. (2007). مملكة الفرنجة بين المباردبين والبابوية: زمن بيبن القصير 751–768م. مجلة المؤرخ العربي، العدد 15.
2. الحويرى، محمود محمد. (1995). رؤية في سقوط الأمبراطورية الرومانية، ط3. القاهرة: دار المعارف.
3. ربيع، حسنين محمد. (1993). دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. القاهرة.
4. عاشور، سعيد عبد الفتاح. (2009). أوربا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، ج1. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
5. كانتور، نورمان. (1969). العصور الوسطى الباكرة. ترجمة: قاسم عبده قاسم. الهرم: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
6. مدني، صلاح. (1972). تاريخ العصور الوسطى في أوربة الفترة الأولى بين نهاية القرن الرابع والقرن الحادي عشر الميلاديين. دمشق: مطبعة الانشاء.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Annales Francorum Mettenses. (1641). In Historiae Francorum scriptores coaetanei (Vol. III). Paris.
2. Ashour, Sa'id Abdul Fattah. (2009). "Europe in the Middle Ages (Political History), Vol. 1". Cairo: Anglo-Egyptian Library.
3. Bréhier, L. (1946). Le Monde Byzantin: Vie de Mort de Byzance. Paris.
4. Bury, J. B. (1911). The Imperial Administrative System. London.
5. El Hawary, Mahmoud Mohamed. (1995). "A Vision in the Fall of the Roman Empire, 3rd ed.". Cairo: Dar Al Maarif.
6. Emerton, E. (Ed.). (2000). The Letters of Saint Boniface (A. Translator). New York: Columbia University Press.
7. Eskandar, Fayez Naguib. (2007). "The Kingdom of the Franks between the Lombards and the Papacy: The Time of Pepin the Short 768-751 AD". Arab Historian Journal, No. 15.
8. Fanning, D. (2009). The Dark Ages Church: Period of Barbarian Invasion of Global Missions. Liberty University.
9. Halphen, L. (1949). Charlemagne et L'Empire Carolingien. Paris.
10. Here is the translated list in English according to the APA style:
11. Hubert, J. (1952). Etude sur la Formation des États de Église. Paris.
12. Kantor, Norman. (1969). "The Early Middle Ages". Translated by: Qasim Abdu Qasim. Heliopolis: Ain for Humanities and Social Studies Research.
13. Madani, Salah. (1972). "History of the Middle Ages in Europe: The Early Period from the End of the Fourth Century to the Eleventh Century AD". Damascus: Establishment Printing Press.
14. Martin, T. (2012). Reassessing the Roles of Women as Makers of Medieval Art and Architecture. USA.
15. Monte, J. L. (1949). The World in the Middle Ages. New York.
16. Ostrogorsky, G. (1977). Histoire de l'état Byzantin. Paris.
17. Painter, S. (1960). A History of the Middle Ages 284-1500. New York.
18. Paron, A. (2000). The Pechenegs: Nomads in the Political and Cultural Landscape of Medieval. Boston.
19. Rabie, Hassanein Mohamed. (1993). "Studies in the History of the Byzantine State". Cairo.
20. Roper, C. T. (1991). Carolingian Diplomacy and the Dynamic Pursuit of Legitimacy. The University of Connecticut.
21. Stephenson, P. (2000). Byzantium's Balkan Frontier: A Political Study of the Northern Balkans, 900-1204. University Cambridge.
22. Wallace-Hadrill, J. M. (1983). The Frankish Church. University Oxford, New York.